

مَجَلَّةُ الشَّرْعَةِ وَالْإِسْلَامِيَّاتِ

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

مجمع نيقية وعلاقته بتقنين الأناجيل الأربعة

د. سامي بشير عامري

جامعة Graduate Theological Foundation - كلية الدراسات الإسلامية

مجلس
النشر العلمي



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

العدد ١٣٤ - السنة ٣٨

ربيع الأول ١٤٤٥ هـ - سبتمبر ٢٠٢٣ م

البحث الخامس

مجمع نيقية وعلاقته بتقنين الأناجيل الأربعة

د. سامي بشير عامري

أستاذ مساعد بقسم الأديان، كلية الدراسات الإسلامية،
جامعة Graduate Theological Foundation،
الولايات المتحدة الأمريكية

للاستشهاد:

عامري، سامي بشير. (٢٠٢٣). مجمع نيقية وعلاقته بتقنين الأناجيل الأربعة. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ٣٨ (١٣٤)، ١٦٩-٢٠٧.

To cite:

Ameri, S. B. (2023). The Council of Nicaea and the canonization of the four gospels. *Journal of Sharia and Islamic Studies*, 38(134), 169-207.

مجمع نيقية وعلاقته بتقنين الأناجيل الأربعة

د. سامي بشير عامري*

تاريخ الإجازة: ٢٠٢٣/٣/٢

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١/١٨

ملخص البحث

تبحث هذه الدراسة في بيان علاقة مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م بتقنين الأناجيل الأربعة، من خلال نقد دعوى تاريخية إصدار هذا المجمع لقرار تقنينها في ضوء الوثائق القديمة، وبيان سبب حضور هذه الدعوى في الأدبيات العربية الحديثة. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يتناول واحدة من أهم الدعاوى المنتشرة في المكتبة العربية حول تاريخ التقنين؛ فإن القول إن الأناجيل الأربعة قد قُننت في القرن الرابع يخالف الشواهد التاريخية الآبائية صراحة، ويعيد صياغة تاريخ التقنين وفق رؤية أخرى مختلفة عما انتهى إليه إجماع النقاد اليوم. ولذلك كانت مشكلة البحث تتمحور حول جواب سؤال: هل يعود أمر تقنين الأناجيل الأربعة إلى قرار اتخذته مجمع نيقية؟ والهدف من بذل جواب لهذا السؤال بيان علاقة هذا المجمع بأمر التقنين بالنظر في القرارات التي أصدرها، وفحص إمكانية ثبوت تقدم تقنين هذه الأناجيل عن القرن الرابع الميلادي. ولذلك قامت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي. وتوصل الباحث إلى أن دعوى أن الأناجيل الأربعة قد قُننت في مجمع نيقية، لا تستقيم تاريخياً لسببين رئيسيين، أولهما وجود شواهد تاريخية سابقة لهذا المجمع تثبت اتفاق النصارى البروتوأرثوذكس على تقديس هذه الأناجيل الأربعة حصراً، وثانيهما غياب أي شاهد تاريخي على أن مجمع نيقية قد تناول أمر تقنين أسفار العهد الجديد بالنظر. كما انتهى البحث قبل ذلك إلى تأخر ظهور دعوى التقنين النيقوي في المكتبة العربية إلى

(*) د. سامي بشير عامري: يحمل شهادة دكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة Graduate Theological Foundation، USA، ٢٠٢٠. دكتوراه من جامعة Université Privée Africaine Franco-Arabe، ٢٠٢٢. سينا قش دكتوراه ثالثة -إن شاء الله- سنة ٢٠٢٣ في Institut Européen des Sciences Humaines. الماجستير من جامعة Université Privée Africaine Franco-Arabe، ٢٠١٨. الليسانس من جامعة American Interglobal University، ٢٠١١. عضو هيئة التدريس في Graduate Theological Foundation. له أكثر من عشرين كتاباً مطبوعاً. الاهتمامات البحثية: النقد النصي للعهد الجديد، النصرانية المبكرة (ما قبل نيقية). الأسفار الأبوكريفية، الاستشراق، الإلحاد الجديد، العلمية. البريد الإلكتروني: sambechir@yahoo.com

القرن التاسع عشر، وأنَّ المكتبة العربية قد نقلت هذه الدعوى عن فولتير والملاحدة الذين نشروا دعواه هذه في المكتبة الغربية. ولذلك يرى الباحث أنَّ على الباحثين المسلمين أن يعيدوا قراءة تاريخ تقنين العهد الجديد باعتباره عملية تراكمية تنقيحية امتدت لقرون، ولم تكن قرارًا لحظيًا من مجمع ما.

الكلمات المفتاحية: مجمع نيقية، الأناجيل، العهد الجديد، الكتاب المقدس.

The Council of Nicaea and the canonization of the four gospels

*Dr. Sami Bechir Ameri**

Abstract

This study investigates the relationship between the Council of Nicaea, held in 325 AD, and the canonization of the four Gospels. It does this by critically examining the historical claim that the Council enacted the canonization of the Gospels, in light of ancient documents. The study also seeks to shed light on the reason for the presence of this claim in modern Arabic literature. The significance of this research lies in its exploration of a key debate in Arabic literature about the timeline of canonization. The assertion that the four Gospels were canonized in the fourth century AD is in stark contrast to patristic historical evidence, and it challenges the prevailing scholarly consensus on the timeline of canonization. The research question, therefore, is whether the canonization of the four Gospels can be attributed to a decision made by the Council of Nicaea. The objective is to uncover the relationship between the Council and the process of canonization, by examining the decrees issued by the Council and investigating the possibility of Gospel canonization prior to the fourth century AD. The study employs a historical-analytical methodology. The researcher concludes that the claim that the four Gospels were canonized at the Council of Nicaea is historically inaccurate, for two main reasons. First, there is prior historical evidence dating from before the Council that supports the exclusive canonization of these four Gospels by proto-Orthodox Christians. Second, there is no historical evidence to suggest

(*) Assistant Professor. Comparative religion. Islamic Department. Graduate Theological Foundation University, USA

that the Council of Nicaea addressed the canonization of New Testament scriptures. The research also indicates that the Nicene canonization claim did not emerge in Arabic literary tradition until the 19th century. It traces the propagation of this claim in the Arabic library to Voltaire and the atheists, who introduced it to Western literature. In conclusion, the researcher suggests that Muslim scholars need to revisit the history of New Testament canonization, viewing it as an accumulative process spanning centuries rather than an ad hoc decision by a particular council.

Keywords: Council of Nicaea, Gospels, New Testament, Bible.

مقدمة

شكّل مجمع نيقية محطة كبرى في تاريخ ظهور العقيدة النصرانية الأرثوذكسية؛ فقد انتقلت به الفرق النصرانية من جماعات تتدافع لبسط سلطانها العقدي بين أتباع الكنائس الأخرى إلى جماعة كبرى واحدة مدعومة من الإمبراطور، وُفِرَقَ أخرى صغرى مهرطقة منبوذة. وقد كان القرار بإصدار قانون الإيمان في هذا المجمع أهم حدث متعلّق باللاهوت في تاريخ الكنيسة؛ فقد انتهى المجمع إلى تقرير أنّ المسيح عليه السلام «إله حقّ من إله حقّ» «Θεὸν ἀληθινὸν ἐκ Θεοῦ ἀληθινοῦ»^(١). وبذلك حسم الجدل الذي عُقد بسببه المجمع، وتم فكّ الاحتراب العقدي حول طبيعة المسيح عليه السلام وعلاقته بالأب، خاصة بين أتباع البابا ألكسندروس القائلين بالألوهية الكاملة للمسيح، وأتباع آريوس القائلين إنّ المسيح عليه السلام كائن حادث، خُلِقَ قبل العالم، وبه خُلِقَ العالم.^(٢) وبسبب مركزية مجمع نيقية في تغيير الصورة الأولى لرسالة المسيح عليه السلام، ظهر في كتابات عربية وغربية ما يضيف إلى دور هذا المجمع في تحريف النصرانية، القول إنّّه قد تمّ فيه اختيار الأناجيل القانونية^(٣)، وردّ الأناجيل الأخرى. وهي دعوى تاريخية تحتاج إلى مراجعة نقدية.

أسئلة البحث:

تتناول دراستنا هذه البحث في الأسئلة التالية:

- ١ - متى ظهرت دعوى أثر مجمع نيقية في اختيار الأناجيل الأربعة في المكتبة العربية الإسلامية؟

(١) Philip Schaff, David Schley Schaff, History of the Christian Church, New York: C. Scribner's sons, 1882, 3/667.

(٢) لم يكن آريوس يرى المسيح عليه السلام بشرًا نبيًا، وإنّما كان يراه الكلمة التي فاضت عن الإله. وهو عنده إله حادث، أدنى من الإله الأب، كما هو معتقد عامة آباء ما قبل نيقية، وهي العقيدة المعروفة بعقيدة التبعية Subordinationism. كما يُنسب إليه القول بعقيدة التبني Adoptionism التي تميّز الروح الإلهي للابن الكلمة عن جسد ابن مريم عليهما السلام. يُنظر:

Raymond Brown, An Introduction to New Testament Christology, New York: Paulist Press, 1994, p.143

(٣) القانونية، نسبة إلى القانون. والقانون هنا من الكلمة اليونانية κانون التي تعود إلى معنى العصا التي تُقاس بها الأطوال. واصطلاحًا: مجموعة الأسفار المقدّسة دينيًا عند طائفة دينية ما (Michael Coogan, The Bible, What Everyone Needs to Know, Oxford: Oxford University Press, 2020, p.2.).

- ٢ - ما الرافد الأوّل للربط بين المجمع المسكوني الأوّل وتبني الأناجيل الأربعة؟
- ٣ - هل تشهد أحداث مجمع نيقية لاختيار الأناجيل الأربعة في مناقشاتهما وقراراتهما؟
- ٤ - هل كانت الكنيسة «الأرثوذكسية»^(١) تؤمن بقائمة أخرى من الأناجيل القانونية قبل سنة ٣٢٥م؟
- ٥ - متى تمّ تقنين الأناجيل الأربعة لأوّل مرّة؟ ومن قام بذلك؟

أهمية البحث:

يُعتبر موضوع قانونية أسفار العهد الجديد من أهمّ مباحث الدراسات البيبليّة اليوم؛ لتعلّقه بمصدرية الطابع السلطاني authoritative لهذه الأسفار؛ فإنّ الكنيسة قد عرفت أسفارًا دينية كثيرة في القرون الأولى تعود إلى الغنوصيين والقائلين بالتبني والأيونييين... إلخ. وقد ظهر في الكتابات الإسلامية في هذا القرن وسابقه الاعتراض على ربانية الأناجيل بالقول إنه قد تمّ اختيارها لأوّل مرة لتدخل في قائمة الأسفار القانونية في مجمع نيقية الذي انعقد سنة ٣٢٥م. وهذا اعتراض قوي في دلالته على نفي ربانية هذه الأناجيل، وأنّ اختيارها بشري محض، غير أنّ هذا الاعتراض منتقّد من جهة غياب الشاهد التاريخي الداعم له.

أهداف البحث:

لهذا البحث مجموعة من الأهداف:

- ١ - رصد دعوى تقنين الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية في الكتابات العربية الإسلامية، منذ العصر الأوّل إلى أيامنا.
- ٢ - بيان الأصل التاريخي لظهور دعوى ربط مجمع نيقية بتقنين الأناجيل.
- ٣ - بيان أنّ مجمع نيقية لم يشهد في مناقشاته الحديث عن إعلان لقائمة الأناجيل القانونية.
- ٤ - بيان أنّ الأناجيل الأربعة كانت محلّ قبول قبل مجمع نيقية عند سلف المنتصرين في هذا المجمع.

(١) الأرثوذكسية: اصطلاح يُستعمل غالبًا في العرف الأكاديمي بمعنى الكنيسة «صاحبة الإيمان القويم» المنتصرة في مجمع نيقية، في مقابل ما يُعرف بالهرطقة. ولا يُقصد به في هذه الدراسة معناه الثانوي، أي ما يُعرف بالكنائس الأرثوذكسية المقابلة للكاتوليك والبروتستانت، كالكنيسة المرقسية المصرية.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

لم تعتن المكتبة الإسلامية العربية بتقديم بحث نقدي لتاريخية انتخاب مجمع نيقية للأناجيل الأربعة؛ لأنها دعوى حديثة جدًا. وفي المقابل ناقش هذه المسألة بعض الكتاب النصارى العرب، وأبرزهم عبد المسيح بسيط في كتاب: «أبوكريفا العهد الجديد كيف كتبت؟ ولماذا رفضتها الكنيسة؟»، وكتابه: «رواية عزازيل: أهَيَّ جهل بالتاريخ أم تزوير للتاريخ؟»، في نقد رواية «عزازيل». كما ناقش هذه المسألة عدد من الكتاب الغربيين، فمنهم من تناولها عند مناقشة فكر فولتير الذي ارتبط تراثه بدعوى مرجعية مجمع نيقية في اختيار الأناجيل، مثل كتاب «Studies on Voltaire and the Eighteenth Century»، ومنهم من سعى إلى نفي تاريخيتها في مناقشته لرواية «شفرة دافنشي» التي أشهرت هذه الدعوى في العقدين الأخيرين، مثل كتاب «Breaking The Da Vinci code» للناقد داريل بوك Darrell Bock، و«The Da Vinci hoax : exposing the errors in The Da Vinci code» لكار أولسون Sandra Miesel، وساندرا ميسزل Carl E. Olson، و«The Gospel according to the Da Vinci code : the truth behind the writings of Dan Brown» لكينيث بوا Kenneth Boa، وجون ترنر John Turner. وتُرجم إلى العربية مؤخرًا مقال ستيفن بويس بعنوان: «مجمع نيقية وقوننة الأناجيل الأربعة: بين الأسطورة والتاريخ»^(١). غير أنَّ هذه الدراسات كلها غلب عليها الاختصار دون طلب التفصيل. كما تجاهلت عامة الكتب المتعلقة بقانون الكتاب المقدس هذه الدعوى لفشوؤها في غير الدوائر العلمية.

ويُرجى أن يساهم هذا البحث في:

- ١ - بيان غياب أصل تاريخي للربط بين مجمع نيقية وتقنين الأناجيل الأربعة.
- ٢ - بيان أنَّ تقنين الأناجيل الأربعة سابق لمجمع نيقية.
- ٣ - التنبيه إلى أنَّ الربط بين مجمع نيقية والأناجيل القانونية، دعوى حادثة في المكتبتين العربية والغربية.

حدود البحث:

هذا البحث في مناقشة تاريخ تقنين الأناجيل الأربعة، فلا يتعرَّض إلى صحة نسبتها إلى الرسل أو من أخذوا عنهم؛ لأنَّ التقنين متعلِّق بموقف الجماعة النصرانية من قداسة

(١) نسخة إلكترونية. نشرها مركز ReasonOfHope.com.

النص وحجّيته، عبر تاريخها القديم، لا أهلية هذه الأسفار لأن تكون محل قداسة، لصحة إسنادها وربانيّة متنها. كما اقتصر البحث في هذه المقالة على دراسة قانونية الأناجيل الأربعة دون بقية أسفار العهد الجديد.

منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، بدراسة تاريخ دعوى انتخاب مجمع نيقية الأناجيل القانونية في المكتبة العربية الإسلامية، وأصل هذه الدعوى في المكتبة الغربية، وحقيقة قانونية هذه الأناجيل في مجمع نيقية، وفي عصر الآباء.

خطة البحث:

تمّ تقسيم هذا البحث إلى تمهيد يوطئ للدراسة، ببيان أهميّة مجمع نيقية في العصر التأسيسي للنصرانية المؤلّثة للمسيح عليه السلام. ثمّ تمّ النظر في جوهر البحث في مبحثين. تناول أولهما بالنظر دعوى دور قسطنطين ومجمع نيقية في إدخال الأناجيل الأربعة في قانون العهد الجديد في الكتابات العربية، مع بيان الأصل التاريخي لها، وتناول ثانيهما نقد هذه الدعوى.

انقسم المبحث الأول إلى ثلاثة مطالب، أولها في بيان موقف الكتب التراثية من علاقة مجمع نيقية بإثبات مرجعية الأناجيل الأربعة للجماعة النصرانية، وثانيها في بحث حضور دعوى إثبات هذه المرجعية في الكتب الحديثة، وثالثها في بيان الأصل الغربي المتأخّر لهذه الدعوى.

وأما المبحث الثاني، فقد تناول بالنقد القول إنّ مجمع نيقية قد قنن الأناجيل الأربعة. وفصّل ذلك في ثلاثة مطالب، تناول الأول منها النظر في قرارات المجمع، بياناً لتجاهلها البحث في أمر القانون. وتناول المطلب الثاني البحث في تاريخ الأناجيل قبل نيقية، وما تعلق من ذلك بالقانون، وما انتهى إليه النقّاد في هذا الشأن من سبق التقنين لمجمع نيقية. وأما المطلب الثالث، فقدّم الشهادات التاريخية المؤيدة لسبق تقنين هذه الأناجيل لمجمع نيقية.

وأخيراً تم عرض نتائج البحث، مع مجموعة من التوصيات.

المبحث الأول: إثبات دور قسطنطين ومجمع نيقية في اختيار الأناجيل المطلب الأول: موقف الكتب التراثية الإسلامية

كان لكل من الإمبراطور قسطنطين ومجمع نيقية حضور في الكتابات الإسلامية الجدلية أو التاريخية المتعلقة بدراسة النصرانية وتطورها. فقد تحدّث فريق من علماء الإسلام عن قسطنطين، وتاريخه قبل الحكم وبعده، وعن مجمع نيقية، وأسباب انعقاده، وتفاصيل مجريات أيامه، وما صدر عنه، وما نجم لاحقاً عن قراراته. وكان السياق يقتضي ذكر تقنين الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية أو دور قسطنطين في ذلك، لو أنّ هؤلاء العلماء كانوا يروون تاريخية تلك القصة، ولكننا لا نجد ذكرًا لذلك؛ بما ينفي أن تكون هذه الدعوى معروفة عندهم. وهو أمر يستبين بدراسة مؤلفات علماء أعلام كان لهم حديث تفصيلي عن النصرانية وتاريخها، في باب المساجلة أو التأريخ، وهم: ابن حزم، وابن تيمية، وابن كثير، والخزرجي، والقرطبي.

ابن حزم: لم يعتن ابن حزم في كتابه الكبير «الفصل في الملل والأهواء والنحل» بأمر مجمع نيقية، ولم يذكر أمر اختيار الأناجيل الأربعة، رغم توسّعه في الحديث عن الأناجيل وما فيها من تناقضات، وأغلاط، ومحالات، وانقطاع في الأسانيد.^(١) ولا شك أنّ القول بدور مجمع نيقية في اختيار الأناجيل، من أهم الطعون في ربّانية الأناجيل. ومع ذلك فهو أمر غائب عن جدليات ابن حزم.

ابن تيمية: فصل ابن تيمية الحديث عن مجمع نيقية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح». وتحدّث عن سبب انعقاد المجمع، وعدد من حضره، وقراراته.^(٢) ولم يذكر اختيار الأناجيل الأربعة، رغم أنّه قد قال إنّ الأساقفة الذين انتصر قولهم في المجمع قد «وضعوا له [لقسطنطين] أربعين كتابًا، فيها السنن والشرائع، وفيها ما يصلح أن يعمل

(١) ينظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت. ٦/٢، ٩، ١٨، ...٤٩

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٢٢٢/٤.

به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها».^(١) وذكر هذه «الكتب» دون ذكر الأناجيل الأربعة -رغم أن الأناجيل أعظم قيمة في التراث الكنسي من الأسفار الكنسية- دالاً أن ابن تيمية لم يكن يرى للمجمع أي دور في اختيار الأناجيل.

ابن كثير: ذكر ابن كثير اسم قسطنطين أكثر من عشرين مرة في كتابه «البداية والنهاية»، وتحدث عن الدافع إلى إقامة مجمع نيقية -وهو الخلاف العقدي بين أريوس وألكسندروس-، وانتصار قسطنطين لمؤلهي المسيح عليه السلام، وأشار إلى بعض ما نجم عن هذا المجمع.^(٢) ولم يحدث ذكرًا لاختيار الأناجيل الأربعة فيه.

الخرجي: تحدث أحمد بن عبد الصمد الخرجي في القرن السادس الهجري في كتابه «مقامع الصلبان» عن قسطنطين، وتحريفه لدين النصرانية، والمجامع وأثرها في الانحراف عن رسالة المسيح الأولى، والأناجيل وما فيها من إشكالات. ولم يذكر في أثناء ذلك اختيار مجمع نيقية للأناجيل الأربعة. ولا أدان قسطنطين بفعل ذلك.^(٣)

القرطبي: لخص أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ما فعله قسطنطين بالنصرانية، في قوله: «عمد قسطنطين إلى من ينسب إلى دين المسيح، فوجدهم قد اختلفت آراؤهم، ومزجت أديانهم؛ فاستخرج ما بقي من رسم الشريعة المنسوبة للمسيح، وجمع عليها وزراءه. فأثبت ما شاء منها. وتحكم فيها باختياره، حسب ما رآه موافقاً له بالصلوبية لتعبد قومه بطلب دم والقول بترك الختان».^(٤)

وذكر أن قسطنطين «لما رأى ملكه يختل ونظامه لا يستقيم ولا يتحصل، باختلاف رعيته عليه، وقلة انقيادهم إليه؛ جمع وزراءه وشاورهم؛ فاجتمع رأيهم أن يتعبد القوم بطلب دم، وأن يشرع لهم شريعة ينسبها للمسيح؛ فكتب لهم ما بأيديهم من الإنجيل أو

(١) المصدر السابق، ٢٢٢/٤-٢٢٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ١٤٢هـ/٢٠٠٣م، ٨٥-٨٨.

(٣) أحمد بن عبد الصمد الخرجي، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، تونس: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٧٥، ص ٧٤-٧٦، ١٦٣.

(٤) القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة: دار التراث العربي، د.ت، ص ٢٤٥.

أكثره».^(١) وكرّر هذه الدعوى نفسها في قوله: «وقد ذكرنا فيما تقدّم أنّ أمر الصلوبة إنما شرعها لهم قسطنطين بن هيلانة الملك. وهو الذي سنّها وكتبها لهم في الإنجيل؛ ليوغر صدور عامته ورعيته على اليهود».^(٢) وهي دعوى تجعل قسطنطين صاحب الأناجيل، تأليفاً. وهي غير القول إنّه من انتخب هذه الأناجيل أو قام على المجمع الذي انتخبها. وقول القرطبي باطل تاريخياً على كلّ حال، وليس له شيوع في الكتابات الإسلامية اللاحقة.

المطلب الثاني: موقف الكتب العربية الحديثة

بقي أمر نسبة تقنين canonization الأناجيل الأربعة إلى مجمع نيقية غائباً عن المؤلفات الإسلامية حتّى بداية القرن الرابع عشر الهجري -في حدود ما اطلعنا عليه من كتب-، رغم أهميّة هذا الاعتراض في نقض ربّانيّة هذه الأناجيل، ووجود مناظرات عامة وخاصة بين المسلمين وأهل الكتاب، كما لم نجد في الكتابات الجدلية النصرانية المشهورة^(٣) إحالة إلى هذه التهمة في أدبيات المسلمين.

وقد ظهر منذ أكثر من قرن من اليوم القول إنّ مجمع نيقية قد اختار الأناجيل الأربعة القانونية من بين عشرات الأناجيل المتاحة بين أيدي النصارى. وشاع ذلك في أجناس أدبية مختلفة، كتفاسير القرآن، وكتب العقائد والنحل، وكتب الجدل والردود، وكتب تاريخ الغرب وفكره. وهو ما يُظهر شيوع هذه الدعوى في المكتبة الإسلامية.

فمن كتب التفسير، نجد الحديث عن ذلك في تفسير المنار: «نحن معاشر المسلمين نتهم مجامع الأساقفة التي تحكم في الأناجيل القديمة، فعدت بعضها قانونياً وبعضها غير قانوني، وصاروا يتلفون ما هو غير قانوني. بل نحن لا نعتد بتنصر القيصر قسطنطين الأول ولا نعتقد إخلاصه فيه، بل نعتقد أنّ ذلك كان عملاً سياسياً منه».^(٤) وأصرح منه ما

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١١.

(٣) مثل رسالة عبد الله بن اسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام، ورسالة الكندي إلى الهاشمي يردّها بها عليه ويدعوه إلى النصرانية، ومحاورة المهدي الخليفة العباسي مع تيموثاوس، ومحاورة البطريق يوحنا مع أمير العرب...

(٤) رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٥٤/٩.

جاء في تفسير الزحيلي: «ولم تظهر الأناجيل الأربعة التي عليها المعول عندهم الآن إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح، عند ما صار للنصارى دولة بدخول الملك قسطنطين في النصرانية، وإدخاله إياها في طور جديد من الوثنية».^(١)

ومن كتب العقائد والنحل، نقرأ في كتاب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»: «فاجتمع في نيقية ٢٠٤٨ أسقفًا منهم ٣٣٨ يقولون بألوهية المسيح، وانتهى ذلك المجمع بانحياز الإمبراطور إلى القول بألوهية المسيح ولينفض عن القرارات التالية: ١- لعن آريوس ٢- وضع عشرين قانونًا لتنظيم أمور الكنيسة والأحكام الخاصة بالأكليريوس ٣- الاعتراف بأربعة أناجيل فقط: (متى، لوقا، مرقس، يوحنا) وبعض رسائل العهد الجديد والقديم، وحرق باقي الأناجيل لخلافها عقيدة المجمع».^(٢)

ومن كتب الجدل والردود، نقرأ في كتاب «كواشف زيوف» للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني: «سلط الإمبراطور «قسطنطين» معتنقي هذا الدين على مخالفيهم، مع العلم بأن المخالفين كانوا هم الكثرة الكاثرة التي لم تتأثر بدسائس بولس، وأقر هؤلاء أربع مخطوطات هي التي تعرف بالأناجيل الأربعة، من ضمن نحو مئة مخطوطة أمر الإمبراطور بتحريقها، وهذه المخطوطات قد أحضرها إلى المجمع كبار البطارقة المدعويين إليه، باعتباره وثائق دينية تؤيد مذاهبهم».^(٣)

ومن كتب تاريخ الفكر الغربي، نجد هذه الدعوى في كتاب «العلمانية، نشأتها وتطورها» للشيخ سفر الحوالي: «وأبرز قرارات المجمع القرار الذي اتخذته بشأن الأناجيل، وهو أن الأناجيل المعتمدة الصحيحة هي الأناجيل الأربعة المنسوبة لـ (متى، لوقا، مرقس، يوحنا) وأما ما عداها فمزيف مكذوب تحرم قراءته ويجب حرقه وإبادته».^(٤)

(١) المراغي، تفسير المراغي، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، ٧٨/٦.

(٢) مانع الجهني (إشراف)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ٥٦٩/٢.

(٣) عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ٣٣.

(٤) سفر الحوالي، العلمانية، نشأتها وتطورها، دار الهجرة، د ت، ص ٥٠.

وقد عاد الحديث عن دور مجمع نيقية وقسطنطين في تقنين الأناجيل الأربعة بقوة على الساحة العربية الشعبية مؤخرًا بسبب كتابين حققا مبيعات عالية في العقدين الأخيرين، وهما رواية «شفرة دافنشي»، ورواية «عزازيل». وقد ساهمت ثلاثة أمور في شيوع الدعوى في الساحة العامة بسبب الكتابين السابقين، الأمر الأول، القالب الروائي المشوّق للكتابين السابقين، والأمر الثاني أنهما تبنيًا نظرية المؤامرة التي تستهوي محبي الإثارة في تفسير التاريخ، والثالث أن كتاب «شفرة دافنشي» قد حقق أرقاماً قياسية في المبيعات في العالم وترجم إلى لغات كثيرة، وأثار لغطاً شديداً في الدوائر الدينية والثقافية والإعلامية، كما أن رواية «عزازيل» قد أثارت جدلاً واسعاً على الإعلام، وواجهتها الكنيسة الأرثوذكسية المصرية في القضاء والصحافة.

أكد دان براون Dan Brown في روايته «شفرة دافنشي» على دور قسطنطين ومجمع نيقية في تغيير رسالة المسيح عليه السلام. وقد وضع براون هذه الدعوى على لسان أبطال الرواية بصورة واضحة. وأهم ما جاء في هذا الشأن سؤال «صوفي» في روايته: «من الذي اختار الأناجيل لتُضمّن [في الكتاب المقدس]؟»، وجواب «تينج» في الرواية، بحماسة: «المهزلة الأساسية للمسيحية! الكتاب المقدس -كما نعرفه اليوم- جمعه الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين الأكبر».^(١)

وتحدّث يوسف زيدان في رواية «عزازيل» عن الفرق النصرانية المبكرة واختلافها، وأسفارها المقدّسة. وأثر الصراع المبكر بينها في صناعة لاهوت المتأخّرين، زاعماً أن الإمبراطور قسطنطين قد انتصر لألكسندروس وأثناسيوس بإحراق كل الأناجيل التي بأيدي الناس، عدا الأربعة المشهورة، بقوله على لسان شخصية من شخصيات الرواية: «كما أمر الإمبراطور يا أبت بإحراق كتبه وإحراق كل الأناجيل التي بأيدي الناس، عدا الأربعة المشهورة».^(٢)

وكان زيدان قد ذكر قبل ذلك مباشرة -على لسان إحدى الشخصيات-: «فالإمبراطور قسطنطين كان متعجلاً لإعلان ولايته على أهل الصليب، حتى إنّه لم يصبر على دعوته

(١) Dan Brown, The Da Vinci Code, New York: Doubleday, 2003, p.231

(٢) يوسف زيدان، عزازيل، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨، ص ٥٣.

المسكونية للمجمع، إلى حين اكتمال مدينته الجديدة القسطنطينية، فعقد المجمع في القرية المجاورة نيقية التي كانت لسوء اختيار موضعها تسمى أيامها مدينة العيمان. وقبلها بعام واحد كان هذا الإمبراطور يقضي حياته مشغولاً بأمر وحيد، هو تثبيت سلطانه بالحرب ضد قدامى رفاقه العسكريين. ولما انتهى من حروبه إلى الظفر بهم أراد الظفر بالولاية الدينية على رعاياه فدعا كل رؤوس الكنائس للمجمع المسكوني، وأدار جلساته وتدخل في الحوار اللاهوتي، ثم ألقى على الحاضرين من الأساقفة والقسوس القرارات. مع أنه -فيما أظن- لم يقرأ كتاباً واحداً في اللاهوت المسيحي!^(١)

ولم يقدم داود براون ولا يوسف زيدان حجة تاريخية موثوقة لما ادّعيه، رغم قيمة هذه الدعوى في فهم تاريخ الأناجيل. والأعجب من ذلك أنهما ساقاها على أنها أمر معلوم، مفروغ من صحته. وكذلك تفعل الكتابات الإلحادية الشعبية الغربية في القرن العشرين الميلادي، والتي يبدو أنها المصدر المباشر لدخول هذه الدعوى المكتبة العربية. فما الأصل الأول لنسبة الكتابات العربية والغربية اختيار الأناجيل الأربعة إلى مجمع نيقية؟

المطلب الثالث: الأصل التاريخي للدعوى

الظهور المتأخر لدعوى انتخاب الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية، وغياب هذا الأمر عن كل الوثائق القديمة، والكتب الجدلية المبكرة، ألجأ النقاد إلى البحث عن مصدر حديث لانتشار هذه القصة. والاتفاق حاصل بينهم اليوم أن الكاتب الفرنسي الربوبي الفرنسي فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨ م) هو الذي أذاع هذه الدعوى بقوله في معجمه الفلسفي: «يذكر في ملحق مجمع نيقية أن الآباء كانوا محرجين جداً بسبب الرغبة في معرفة الأسفار الأبوكريفية للعهد القديم والجديد، ولذلك قاموا بوضع الأسفار جميعاً على المذبح؛ فسقطت على الأرض الكتب التي حقها الرفض. إنه لأمر مخز أن يضيع هذا الاختبار الجميل هذه الأيام»^(٢). لقد كان فولتير مكثرًا من الكتابة، متنوع الأبحاث، وهو أمر عُدّ عند فريق علامة على الموسوعية المحمودة، إلا أنه عند المحققين حجة على فولتير؛ فإن توسع العلوم موجب للمسير إلى التخصص لا الحديث في كل باب، دون التمييز بين الأدلة ومراتبها، والحقائق

(١) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) Voltaire, Dictionnaire Philosophique, Paris: Bacquenois, 1838, 6/300.

وما يشتهه بها. ثم إن فولتير كان صاحب قلم شديد على الكنيسة حتى إنه لم يكن يضاهيه أحد في زمانه في نقد الكنيسة بالقلم الساخر الحاد، ولذلك كان يستكثر من النقود الموجهة إلى البابا ومعتقده، حتى لو كانت المعارضات ضعيفة لا تقوم بها الحجة.

لم يحمل النقاد حديث فولتير عن الأصل التاريخي لقانونية الأنجيل، محمل الجد؛ لأنه لم يذكر له مرجعاً واضحاً في توثيق دعواه؛ فقد ساق كلامه بصيغة التمرىض «Il est rapporté». والتاريخ قائم في باب النقل على صحة النقل لا على المراسيل والمقطوعات. وقد ذهب فريق من الباحثين إلى أن «الملحق» «le supplément» الذي أشار إليه فولتير هو ملحق للباحث اليسوعي فيليب لابي Philippe Labbé (ت. ١٦٠٧ م).

وعامة النقاد اليوم على أن الأصل الذي تعود إليه دعوى فولتير وفيليب لابي، مخطوطة تعود إلى آخر القرن التاسع الميلادي، اسمها «Synodicon Vetus»، طبعت محققة سنة ١٦٠١ م في ستراسبورغ على يد جون بابوس John Pappus. وقد جاء في هذه المخطوطة: «أظهر المجمع الكتب القانونية والأبوكريفية بالطريقة التالية: وضعتها بجانب المائة الإلهية في بيت الله، وصلى الأعضاء متوسلين الرب أن توجد الكتب الموحى بها منه على المائة، وأن تكون الكتب الزائفة تحتها. وقد حدث ذلك»^(١).

يرفض النقاد اليوم حجة كتاب «Synodicon Vetus»؛ فهذا الكتاب الذي اعتنى بالحديث عن المجمع والسينودوسات الكنسية منذ القرن الأول إلى سنة ٨٨٧ م، وإن اعتمد على بعض المؤلفات الموثوقة في مجملها، مثل «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس، و«التاريخ الكنسي» لسقراط القسطنطيني، إلا أنه ضمّ دعاوى تاريخية مختلقة لا يُعرف لها أصل، ولذلك اضطر مترجما هذه الوثيقة إلى الإنجليزية جون دافي John Duffy وجون باركر John Parker إلى التنبيه مراراً إلى المعلومات الخطأ والمنكرة التي ساقها المؤلف المجهول لهذه الوثيقة^(٢).

(١) Wm. Emmette Coleman, 'Council of Nicoea (Nicoea) and the biblical canon', in Notes and Queries; a Monthly Magazine of History, Folk-lore, Mathematics, Mysticism, Art, Science, Etc, Volume 5-6, Manchester, 1888, p.4.

(٢) Thomas Noonan, "Review: The Synodicon Vetus: Text, Translation, and Notes by John Duffy; John Parker". The Catholic Historical Review. Vol. 68, No. 1, Jan., 1982. 120.

المبحث الثاني: مناقشة دور مجمع نيقية في اختيار الأناجيل

المطلب الأول: قرارات مجمع نيقية وخلوها من قرارات تقنين الأناجيل

عُقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ في منطقة نيقية (إزمير اليوم). وقد امتد من ٢٠ مايو إلى ٢٥ أغسطس من تلك السنة. وصدرت عنه قرارات مختلفة متعلقة باللاهوت، وتنظيم الكنيسة، وإعادة قبول الهرطقة، والليتورجيا. وكان البحث في علاقة الابن الكلمة بالأب أهم مباحث المجمع، وأعظمها إثارة للجدل. كما حمي الجدل حول تحديد يوم موحد للفصح، لكن فشَل المجتمعون في الوصول إلى اتفاق في ذلك، وأصدر عدة قرارات أخرى متعلّقة بمسائل مختلفة، مثل تكريس الأساقفة، وإدانة إقراض رجال الدين المال بالربا، ومنع السماح للأساقفة والقساوسة والشمامسة أن ينتقلوا من كنيسة إلى أخرى، وعلو سلطان كرسي الإسكندرية وروما على بقية القيادات الدينية... وعامتها في الهيكل التنظيمي للكنيسة. وقد بحث كارل هيفل Karl Hefele في كتابه «تاريخ المجامع حسب الوثائق الأصلية» عدد قوانين مجمع نيقية، واختلاف الوثائق القديمة في تحديد عددها، وانتهى إلى أنها ٢٠ قانوناً، ولمّا نقلها باللغة اليونانية، وحلّ لها، لم يذكر فيها خبر اختيار أناجيل قانونية.^(١) ولا سبيل للركون إلى القول بغفلة المؤرخين عن ذكر ذلك؛ إذ إننا نعلم ما جرى في مجمع نيقية من أكثر من مصدر، ومن هذه المصادر ما كتبه بعض من حضر هذا المجمع:

يوسابيوس: حضر مؤرّخ الكنيسة يوسابيوس القيصري مجمع نيقية؛ فقد استدعي لعرض عقيدة كنيسته. وتحدّث عن تفاصيل هذا المجمع في كتابه «حياة قسطنطين»، وفي رسالة له إلى كنيسة قيصرية حول عقيدة نيقية. وقد ذكر يوسابيوس في «حياة قسطنطين» تدخّل قسطنطين في الدعوة إلى عقد المجامع^(٢)، وفصّ النزاعات اللاهوتية

(١) Karl Joseph von Hefele, Histoire des conciles d'après les documents originaux: Introduction. Conciles antérieurs à celui de Nicée jusqu'au concile de Sardique, A. Le Clère, 1869, pp.366-421.

(٢) Life of Constantine, 3.6, 4.41-43 (Philip Schaff and Henry Wallace, eds. Nicene and Post-Nicene Fathers: Second Series. Eusebius: Church History, Life of Constantine the Great, Oration in Praise of Constantine, New York: Cosimo Classics, 2007).

(كالتّي كانت بين ألكسندروس وآريوس^(١))، وتحديد موعد الاحتفال بالفصح^(٢)، كما أشار إلى أنّ قسطنطين قد أصدر قرارات حول معاقبة الهرطقة^(٣)، وطريقة تطبيق ذلك، وأين تُبنى الكنائس، ومتى تُبنى^(٤). ولم ينسب يوسابيوس إلى قسطنطين ما هو أعظم من ذلك، وهو اختيار الأناجيل الأربعة.

أثناسيوس السكندري: يُعتبر أثناسيوس السكندري أهم شخصية في مجمع نيقية، فرغم أنّه شماس، إلّا أنّه استطاع أن يلفت إليه أنظار الجميع في هذا المجمع بسبب أنّه كان اليد اليمنى للبابا ألكسندروس، وأنّه كان له صوت عال في مناقشة الآريوسيين. وتعود أهمية أثناسيوس في نقل أخبار المجمع إلى أنّه قد تحدّث عن ذلك في عدد من كتاباته اللاحقة، مثل «دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية»، الذي تناول في فصليه الأولين اعتراض الأريوسيين على مجمع نيقية، وتعرّض إلى الجدل حول طبيعة الابن في الفصل الثالث، والمعنى الأرثوذكسي لبنوة الكلمة في الفصل الرابع، والفصل الخامس تناول فيه أثناسيوس الجدل حول مشاركة الابن الأب في الجوهر، وأمّا الفصل السادس فتناول فيه الشخصيات اللاهوتية المؤيدة لما تبناه المجمع، وختم البحث بمناقشة المصطلح الآريوسي: «غير مبتدئ»^(٥).

أوستاثيوس: شارك أوستاثيوس، أسقف أنطاكية، في مجمع نيقية. وقد وصلتنا روايته لما كان في هذا المجمع في «تاريخ الكنيسة» لثيودوريت الذي انتهى مؤلفه من كتابته منتصف القرن الخامس. وقد جاء حديثه في الفصل السابع من الكتاب الأول. وبدأه بقوله: «أوستاثيوس، أسقف أنطاكية الشهير، الذي سبق ذكره، كتب ضدهم عند شرحه لنص في الأمثال ... ودحض تجديفهم: «سأشرع الآن في سرد كيفية حدوث هذه الأحداث

(١) Ibid., 2.61.

(٢) Ibid., 3.6-18.

(٣) Ibid., 3.20, 64-65.

(٤) Ibid., 3.29-43.

(٥) أثناسيوس الرسولي، دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية، تعريب: أثناسيوس فهمي جورج، دبلن: كنيسة السيدة العذراء، ١٩٩٨.

المختلفة. تم استدعاء مجمع عام في نيقية، واجتمع حوالي مائتين وسبعين أسقفًا...»^(١)
وكان حديثه دائرًا حول الجدل اللاهوتي حصراً.^(٢)

كما جاء خبر مجمع نيقية في عدد من الكتب اللاحقة غير البعيدة عن القرن الرابع، وأهمها «التاريخ الكنسي» لسقراط، الفصل الثامن من الكتاب الأول،^(٣) و«التاريخ الكنسي» لسوزومان، الفصول من ١٧ إلى ٢٥ من الكتاب الأول،^(٤) وروفينيوس في «التاريخ الكنسي».^(٥) ومن المراجع الأخرى المهمة، كتابات معارضي قرارات المجمع، مثل «أعمال السينودوسات» لسابينوس. وقد نقل بعض مادته عدد من الكتاب، مثل سقراط المؤرخ.

وليس في ما سبق أي حديث عن اختيار الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية. ومع ذلك فقد أشار بعض من أراد أن يربط تقنين الأناجيل بمجمع نيقية إلى أمرين اثنين دفاعاً عن مذهبهم، وهما ما ذكره جيروم في مقدمة سفر يهوديت من أن مجمع نيقية قد عدّ سفر يهوديت من ضمن الأسفار المقدسة،^(٦) وما ذكره يوسابيوس عن أمر قسطنطين له بالإشراف على طبع ٥٠ نسخة من «الأسفار المقدسة» ثم توزيعها.^(٧)

وليس في الأمرين السابقين ما يشير صراحة إلى أمر تقنين الأناجيل الأربعة. كما أن ما ذكره جيروم لا يُعرّف له فيه سلف. وتصديق كلامه يُؤوّل إلى أن سفر يهوديت قد احتجّ به في نقاشات المجمع دون معارضة، إلا أن المجمع قد ناقش بصورة رسمية قانونيته.

(١) Theodoret of Cyprus, Ecclesiastical History of Theodoret, NY: Dalcassian Publishing Company, 2019, pp.25-26.

(٢) Ibi, 26.

(٣) Socrates Scholasticus, 'Ecclesiastical History', in Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series Volume II Socrates, Sozomenus, New York: Cosimo Classics, 2007, pp.8-12.

(٤) Sozomen, Ecclesiastical History, London: Samuel Bagster and Sons, 1846, pp.33-43.

(٥) Rufinus of Aquileia, The Church History, tr. R. Philip, S.J. Amidon, Oxford Univ Press, 1997. X.1-6.

(٦) Henry Wace, Philip Schaff, eds. A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church: St. Jerome: Letters and select works, New York: Christian literature Company, 1912, p.494.

(٧) Eusebius, The Life of Constantine, 4.36.

علمًا أنَّ جيروم نفسه قد شكَّ في قانونية هذا السفر^(١)، كما شكَّ فيه آباء آخرون. وما كانوا ليفعلوا ذلك لو أنَّ مجمع نيقية انتهى إلى تقنين هذا السفر.^(٢) وأمَّا خبر يوسابيوس، فإنَّه إن قلنا إنَّ تلك النسخ كانت تشمل -حصرًا- أسفار العهد القديم، أو أنها كتب صلوات -كما هو قول هنريخ شوماخر^(٣) Heinrich Schumacher-، سقط الاحتجاج بها هنا، لعدم تعلُّقها بالأناجيل. وعلى القول إنَّ هذه النسخ تشمل أسفار العهد الجديد؛ يبقى أنَّ وجودها لا ينصر القول بتقنين الأناجيل الأربعة بصورة رسمية في مجمع نيقية؛ فإنَّ طلب قسطنطين لم يكن أثناء انعقاد مجمع نيقية، كما أنَّ الأناجيل الأربعة كانت محلَّ اتفاق بين شيعة أثناسيوس -كما هو ظاهر في اقتباسات أثناسيوس منها، ومنافحته عن مذهب طائفته منها^(٤) -، وبالتالي فنسخُ ما هو محل اتفاق عام لا يدلُّ على منحها الصبغة القانونية لأوَّل مرة في المجمع، علمًا أنَّ يوسابيوس له تفصيل مباشر في كتابه «تاريخ الكنيسة» لأمر أسفار العهد الجديد المتفق عليها والمختلف فيها.^(٥) وتكليف يوسابيوس بالإشراف على النسخ والتوزيع يعني الرضا بالقائمة التي سيرضاها.

المطلب الثاني: حال الأناجيل الأربعة قبل مجمع نيقية

تقنين الأناجيل الأربعة مَحُوط بغموض شديد؛ إذ لا تُعرف له لحظة مفصلية في تاريخ التقنين^(٦)، رغم ما يظهر أنَّه قد تم تقنينها في مساحة زمنية ما قبل مجمع نيقية. والفصل

(١) Karl Joseph von Hefele, Histoire des Conciles d'après les Documents Originaux, p.362.

(٢) Ibid.

(٣) Heinrich Schumacher, A Handbook of Scripture Study, St. Louis: B. Herder Book Co., 1922, 1/47.

(٤) John Jay Brogan, The Text of the Gospels in the Writings of Athanasius, Ph.D. dissertation, Duke University, 1997.

(٥) Eusebius, Eccl. His., 3.25.

(٦) وقد عبَّر الناقد المحافظ الشهير د.أ. كارسون D.A. Carson عن ذلك -وهو ممن يقررون تقنين الأناجيل قبل مجمع نيقية- بقوله: «عندما نسأل: متى وكيف تم إعداد المجموعات الأولى -على الأقل- لبعض أسفار العهد الجديد، تتمثَّل الإجابة المختصرة في أننا لا نعرف جوابًا».

D.A. Carson, An introduction to the New Testament, Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 2005, p.739

بين المعلوم والمجهول ضروري في بحثنا حتّى لا يلتبس الحقّ في مسألة تقنين الأناجيل بالدعاوى الباطلة.

أ - المجهول في أمر تقنين الأناجيل الأربعة:

من الممكن تلخيص أهم المجهولات في شأن انتقاء الأناجيل الأربعة لتكون حجة من الناحية الدينية، وموصولة بالوحي، في النقاط التالية:

- نحن نجهل متى اختيرت الأناجيل الأربعة لأوّل مرّة.
- نحن نجهل من اختار الأناجيل الأربعة لأوّل مرّة.
- نحن نجهل المكان الذي ظهر فيه انتقاء الأناجيل الأربعة لأوّل مرّة.
- نحن نجهل إن كان تقنين الأناجيل الأربعة قد تمّ مرّة واحدة أم على صورة متدرّجة.
- نحن نجهل معايير انتخاب الأناجيل الأربعة من بين ما كان متاحًا من أناجيل.
- نحن نجهل سبب عدم الاقتصار على إنجيل واحد، واختيار أربعة أناجيل حصراً. والجدل الواسع القائم اليوم في اقتراح معايير القانونية (الرسولية، القدم، الأرثوذكسية، الاستعمال في الليتورجيا...) لا يفيدنا في شيء؛ فالأمر كما قال الباحث المحافظ تشارلز هيل Charles Hill في كتابه «من اختار الأناجيل؟»: «الدليل الحقيقي على ذلك [أي المعايير] غائب بشكل محرج».^(١)

ب - المعلوم في أمر تقنين الأناجيل الأربعة:

المعرفة المتاحة لنا بتاريخ الكنيسة الأوّل حتى القرن الرابع، تمنحنا العلم بمجموعة من الأمور، أهمّها:

- وجود عشرات الأناجيل في القرون الأولى، بالإضافة إلى الرسائل، والأعمال، والرؤى، وقصص طفولة المسيح وسيرة أمّه عليهما السلام.

Charles E. Hill, Who Chose the Gospels?: probing the great Gospel conspiracy, (١) Oxford University Press, Oxford, 2010, p.230.

- اختلاف الأناجيل المقدسة بين الجماعات النصرانية الأولى؛ فقد كان لكثير من الفرق القديمة أناجيلها الخاصة؛ خاصة الغنوصيين الذين كانت لهم أناجيل كثيرة، مثل إنجيل يهوذا، وإنجيل مريم...^(١)
- هناك نسخ مختلفة لبعض الأسفار؛ فللمرقيون نسخة الخاصة من إنجيل لوقا، وللابيونيين نسختهم الخاصة من إنجيل متى.^(٢)
- عامة النقاد على أنّ ظهور قانون العهد الجديد كان ردّة فعل على اختيار مرقيون مجموعة من الأسفار المؤلفة بعد رفع المسيح عليه السلام لتكون ضمن قائمة قانونية للأسفار المقدسة.^(٣)
- لا يُعرف اتفاق كنسي علني ومفتوح لانتخاب الأناجيل الأربعة دون غيرها. وبعبارة تشارلز هِل: «ليس لدينا أي دليل على أن الكنائس جلست بشكل جماعي أو باعتبارها كنائس فردية ووضعت معايير للحكم على الأناجيل (أو الأدبيات الأخرى) التي اعتقدت أنها الأنسب لاحتياجاتها».^(٤)

ج - إجماع النقاد المعاصرين حول دور مجمع نيقية في اختيار الأناجيل:

حير انتشار الأناجيل الأربعة بين النصارى البروتوأرثودوكس^(٥) في القرن الثاني النقاد؛ إذ لا يُعرف مجمع أو قرار بابوي ملزم باتخاذ هذه الأناجيل مرجعاً مقدساً. وقد حاول الناقد النصراني الشهير بروس ميتزجر Bruce Metzger أن يخرج بحلّ مقبول

(١) See Elaine Pagels, The Gnostic Gospels, New York: Random House, 2004.

(٢) Irenaeus, Adversus Haereses, 1.26.2

(٣) Bart Ehrman, Whose Word is It? The Story Behind who Changed the New Testament and why, New York: Continuum, 2008, p.34.

(٤) Charles E. Hill, Who Chose the Gospels?, p.231.

(٥) الكنيسة البروتوأرثودوكسية Proto-orthodox: أي التي انتصر لاهوتها لاحقاً في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م. يُنظر:

Bart Ehrman, The Orthodox Corruption of Scripture: The Effect of Early Christological Controversies on the Text of the New Testament, Oxford: Oxford University Press, 1996, p.25).

لهذا الإشكال، فقال إنّه لم ينشئ قانون العهد الجديد أفراد ولا مجامع، وإنّما فرضت أسفار العهد الجديد قانونيتها على الكنيسة.^(١)

وما انتهى إليه ميتزجر اجتهد لا تدعمه الشواهد التاريخية، وقائم على «دليل الصمت» *argumentum ex silentio*. والصمت في هذا المقام لا يشير إلى الحجّة الذاتية لهذه الأناجيل، خاصة أنّه ليس من طبائع الأسفار المقدسة أن تكتسب حجيتها بهذه الطريقة. والأولى الاكتفاء بما عليه عامة النقاد من أنّنا نجهل تاريخ تقنين هذه الأناجيل. والتواضع المعرفي في هذا المقام أولى من القول بالظنّ عن جهالة بالتاريخ.

ولا نملك أن نتجاهل مع ذلك أنّ مجمع نيقية بعيد عن أن يكون أصل القول بسلطانيّة الأناجيل الأربعة. ولذلك استنفر كثير من النقاد للرد على صاحب رواية «شفرة دافنشي» زعمه حول مجمع نيقية وقسطنطين، سواء كان هؤلاء النقاد نصارى ساءهم ما قاله صاحب الرواية من أقوال تطعن في عقيدتهم، أو كان هؤلاء النقاد أكاديميين ليبراليين أو ملاحدة.

فقد قال -مثلاً- الباحث المحافظ المتخصص في العهد الجديد بن وذرنتون Ben Witherington: «لا علاقة لمُخرجات المجمع بالقانون، إذ اقتصرَت على موضوع ألوهية المسيح. القانون بكامله -كما نعرفه اليوم- تمّ الاعتراف به في حدود سنة ٣٦٧. لا شك أنّ قسطنطين لم يصنع عملية التقنين هذه، رغم أنّ تحوُّله إلى المسيحية قد ساعد بالطبع على انتشار الإيمان الجديد».^(٢)

وقال الناقد اللاأدري المتخصص في دراسة «يسوع التاريخي» بارت إيرمان Bart Ehrman في كتابه الذي قدّم فيه دراسة نقدية للدعوى التاريخية في رواية «شفرة دافنشي»: «الحقيقة التاريخية هي أنّ الإمبراطور قسطنطين لم تكن له علاقة بتكوين قانون الأسفار: لم يختار الكتب التي يجب قبولها أو استبعادها، ولم يأمر بإتلاف الأناجيل

(١) Bruce Metzger, et. al., New Oxford Annotated Bible, New York: Oxford University Press, 1997, p.1170.

(٢) Ben Witherington, The Gospel Code Novel Claims About Jesus, Mary Magdalene and Da Vinci, InterVarsity Press, 2004, p.23.

التي تُركت خارج القانون. كان تشكيل قانون العهد الجديد عملية طويلة ومديدة بدأت قبل قرون من عصر قسطنطين ولم تنته إلا بعد فترة طويلة من وفاته».^(١)

كما قال الناقد الملحد المتخصص في الدراسات الإنجيلية روبرت برايس Robert Price: «الأسقف السكندري أثناسيوس الذي كان قسطنطين نصيره، كان له بالفعل تأثير كبير في إنشاء العهد الجديد المكوّن من سبعة وعشرين سفرًا نستخدمه اليوم. ولكن في حدود علمنا، لم يكن لقسطنطين أي تأثير في قائمته».^(٢)

وبمثل ذلك يقول جميع النقاد اليوم ممن تخصصوا في دراسات قانون العهد الجديد أو تاريخ المجامع الكنسيّة.

المطلب الثالث: تقنين الأناجيل الأربعة قبل مجمع نيقية

توفّر لنا كتابات آباء ما قبل نيقية ما يدلّ على اعتماد الأناجيل الأربعة حصراً من طرف الكنيسة البروتوأرثوذكسية. وهو ما ينفي أن يكون مجمع نيقية أصل ظهور هذه الأناجيل في قائمة الكتب المقدسة في الكنيسة. ورغم الاختلاف في شهادة بعض الآباء على قانونية الأناجيل الأربعة حصراً، يبقى أن آباء آخرين قبل القرن الرابع قد شهدوا على وجوب الاختصار على هذه الأناجيل.

أ. شواهد مشكلة:

تاتيان (١٢٠ - ١٨٠م):

ألّف تاتيان الآشوري المتوفّي في حدود بداية العقد السابع من القرن الثاني، إنجيلاً يُعرّف اليوم باسم «دياتيسارون» فيه قصّة المسيح عليه السلام. وقد انتشر هذا الإنجيل في البلاد السريانية بصورة خاصة، حتى إنّه كان مقدّماً على الأناجيل الأربعة حتّى سنة ٤٢٥م.^(٣)

(١) Bart Ehrman, Truth and Fiction in The Da Vinci Code: A Historian Reveals What We Really Know about Jesus, Mary Magdalene, and Constantine, Oxford: Oxford University Press, Oxford, 2004, p.74.

(٢) Robert M. Price, The Da Vinci Fraud: Why the Truth Is Stranger Than Fiction, Amherst: Prometheus Books, 2005, p.147.

(٣) William Petersen, 'The Diatessaron and the fourfold Gospel', Charles Horton, ed. The Earliest Gospels. The Origins and Transmission of the Earliest Christian Gospels; The Contribution of the Chester Beat, London: Bloomsbury Publishing, 2010, p.56.

ويُعتبر هذا الإنجيل -عادة- أول شاهد مادي لمرجعية الأناجيل الأربعة للكنيسة البروتوأرثوذكسية؛ إذ إنَّ تاتيان قد اعتمد على هذه الأناجيل لإنشاء رواية واحدة لسيرة المسيح عليه السلام.

وقد أشار النقاد أيضًا إلى عنوان الكتاب نفسه «διὰ τεσσάρων» أي «من الأربعة» للدلالة على أنَّ هذه الأناجيل وحدها أصل الدياتيسارون.^(١) ولكنَّا لسنا على يقين أنَّ هذا العنوان هو الاسم الأصلي له؛ فقد شهد -من جهة- يوسابيوس أنَّه الاسم الأصلي في قوله إنَّ «تاتيان ألَّف بصورة ما خليطاً وجمعاً للأناجيل، وأعطاه اسم الدياتيسارون».^(٢) وفي الجهة المقابلة لم يُعرف هذا الكتاب بهذا الاسم في البيئة السريانية، علماً أنَّ اللغة السريانية هي اللغة الأصل له، أو هي لغة أقدم ترجماته. وقد جاء اسم هذا الإنجيل عند السريان: «ܕܝܬܝܣܪܘܢ ܕܥܠܝܐ» أي «إنجيل المختلط». وهو اسم لا يشير إلى مصادر أربعة له.^(٣)

كما يُشكل على أنَّ الدياتيسارون قد اعتمد الأناجيل الأربعة حصراً، وجود مقاطع تضم تفاصيل في سيرة المسيح عليه السلام ليست موجودة في الأناجيل الأربعة، مثل النار التي أضاءت جهة الأردن لما عمَّد المسيح عليه السلام.^(٤)

وأهم الردود التي سبقت في معارضة القول إنَّ تاتيان قد اعتمد على أناجيل أخرى غير الأناجيل الأربعة في صناعة «إنجيله الموحد»، هي:

- المقاطع الموجودة في الدياتيسارون دون الأناجيل الأربعة، ليست أصلية، وقد تمَّت إضافتها لاحقاً. ويُستأنس لذلك بالاختلاف الكبير بين مخطوطات الدياتيسارون.

(١) لا توجد معارضة جادة للقول إنَّ تاتيان قد اعتمد الأناجيل الأربعة التي نعرفها، فإنَّ ذاك ظاهر من خلال ردِّ النصوص إلى مظانها؛ فهذه طبعة صتموثيل هيمفيل Samuel Hemphill للدياتيسارون تشير عند كل مقطع من هذا الإنجيل الموحد إلى أصله في الأناجيل الأربعة، على مدى كامل كتاب تاتيان. Samuel Hemphill, The Diatessaron of Tatian: a harmony of the four holy Gospels compiled in the third quarter of the second century, London: Hodder & Stoughton, 1888.

(٢) Eusebius, Eccl. His., 4.29.6.

(٣) Paul Foster, Early Christian Thinkers The Lives and Legacies of Twelve Key Figures, Downers Grove, Ill: IVP Academic, 2011, p.23.

(٤) William L. Petersen, Tatian's Diatessaron: Its Creation, Dissemination, Significance, and History in Scholarship, Leiden: BRILL, 1994, pp.17 ff.

- هذه المقاطع كانت متاحة أمام تاتيان في بعض مخطوطات الأناجيل الأربعة في القرن الثاني، زمن تأليف الدياتيسارون.
- هذه المقاطع من عند تاتيان نفسه.

وهي احتمالات مردودة لأسباب:

- قيامها على الظنّ الصرف؛ فلا شواهد مادية أو تاريخية لها.
- وجود هذه النصوص نفسها في شواهد مختلفة كثيرة للدياتيسارون، مع تنوعها الجغرافي؛ بما يجعل القول باختلافها بعيداً.
- عدم وجود بعض هذه النصوص في أسفار أخرى غير الدياتيسارون، يجعل نفي أصالتها في الدياتيسارون مرجوحاً.^(١)

ثيوفيلوس (-١٨٥م):

ذكر جيروم في بداية القرن الخامس أنّ ثيوفيلوس الأنطاكي -أسقف أنطاكية، في القرن الثاني- قد «وضع في عملٍ [كتابٍ] واحدٍ كلمات الأناجيل الأربعة». ^(٢) ومما قيل إنه يؤيد أنّ ثيوفيلوس كان يرى قداسة هذه الأناجيل الأربعة أنّه في كتابه الوحيد المحفوظ اليوم «To Autolycus» قد اقتبس من متى ولوقا ويوحنا.^(٣)

وبعيداً عن بحث حقيقة الأناجيل الأربعة المقصودة هنا، لسنا نملك أن نقطع أنّ ثيوفيلوس لم يكن يرى قداسة أناجيل أخرى غير هذه الأربعة؛ لأنّ الإنجيل الموحد الذي كتبه قد اندثر. كما أنّ اقتباسه من الأناجيل الأربعة لا يسلم حتى يُدرس النص بدقة؛ لكثرة النصوص المشتركة بين الأناجيل القانونية وغيرها.

القانون الموراتوري:

القانون الموراتوري Muratorian Canon نصّ وَرَدَ في وثيقة تُعرف بالقطعة الموراتورية Muratorian fragment. وقد عُثِرَ على هذه المخطوطة في ميلانو الإيطالية سنة ١٧٤٠. وهي تعود إلى القرن السابع.^(٤) ونصّها يذكر قائمة الأسفار القانونية المقبولة.

(١) William Petersen, 'The Diatessaron and the fourfold Gospel', pp.66-67.

(٢) Epistle 121.6.I5,

(٣) Charles E. Hill, Who Chose the Gospels?, p.92.

(٤) القرن السابع، هو زمن كتابة هذه النسخة، لا زمن كتابة نصّها الأوّل.

وهي قائمة تخالف القائمة الرسمية النهائية المتبعة، بتجاهل عدد من الرسائل المقبولة اليوم، مع إضافة رؤيا بطرس.

مقدمة المخطوطة مفقودة. ويبدأ النص الأول المتاح بوصفٍ مبتور لإنجيلٍ ما، ثم جاء بعد ذلك: «الكتاب الثالث للإنجيل حسب لوقا. لوقا -الطبيب المشهور- بعد صعود المسيح، عندما أخذه بولس معه باعتباره شديد الحماسة للشرية، أَلَفَ الإنجيل باسمه، حسب الاعتقاد [العام]، رغم أنه لم يرَ الربَّ في الجسد... رابع الأناجيل ذاك الذي ليوحنا، أحد التلاميذ.»^(١)

ورغم أنَّ النقاد لم يطلعوا على اسم الإنجيليين الأولين بسبب ما في المخطوطة من سقط، إلا أنه -كما يقول تشارلز هـل- لم ينكر أحد من النقاد بصورة جادة أن يكون هذان الإنجيلان هما إنجيل متى وإنجيل مرقس.^(٢) ولا يزال النقاش دائراً حول تاريخ كتابة هذا النص، فقد ذهب عدد من النقاد إلى أنه يعود إلى القرن الرابع،^(٣) وإن كان عامة الباحثين أنه كُتب آخر القرن الثاني.^(٤) وما تطرَّق إليه الاحتمال القوي، امتنع الاستدلال به في هذا المقام، حتى يظهر مرجح صلب يضبط تاريخ تأليفه.^(٥)

ب-شواهد محكمة

إيرينيئوس أسقف ليون (١٢٠ - ٢٠٢م):

أول مصدر تاريخي لا شائبة حول شهادته على قانونية الأناجيل الأربعة حصراً قبل مجمع نيقية، هو إيرينيئوس أسقف ليون. وقد تميَّز إيرينيئوس بكثرة المؤلفات، وأشهرها

(١) Ibid., pp.95-96.

(٢) Ibid., 96.

(٣) See A. C. Sundberg, 'Canon Muratori: A Fourth-Century List', Harvard Theological Review, 66 (1973), pp.1-41, Geoffrey Mark Hahnenman, The Muratorian Fragment and the Development of the Canon, Oxford: Clarendon Press; Oxford University Press, 1992.

(٤) David Edward Aune, Jesus, Gospel Tradition and Paul in the Context of Jewish and Greco-Roman Antiquity, Tubingen: Mohr Siebeck, 2013, p.22.

(٥) إثبات سبق نص هذه المخطوطة لمجمع نيقية أو تأخره عنها، لا يغيّر من نتيجة هذا البحث شيئاً؛ فإنّه إن ثبت أنّ هذا النص متقدّم عن مجمع نيقية، فقد أثبت غاية البحث، وإن تأخر، فلا ينقص دلالة غيره على المطلوب.

كتابه «ضد الهرطقات» الذي ردّ فيه على الفرق المخالفة لمذهبه. كما تميّزت مؤلفاته بكثرة الاقتباسات من الأسفار المقدسة، خاصة الأناجيل.

قال إيرينيئوس: «لا يمكن أن يكون عدد الأناجيل أكثر مما هو عليه الآن أو أقلّ من ذلك، لأنّ هناك أربعة أركان في العالم الذي نعيش فيه، وأربع رياح رئيسة... ذاك الذي ظهر للبشر أعطانا الإنجيل في أربعة أوجه».^(١)

وقال إيرينيئوس أيضاً: «أصدر متى أيضاً إنجيلاً مكتوباً بين العبرانيين بلهجتهم... قام أيضاً مرقس -تلميذ بطرس ومترجمه- بتسليمنا كتاباً ما كان بطرس يكرز به. كما سجّل لوقا -رفيق بولس- في كتاب الإنجيل الذي بشر به. بعد ذلك، قام يوحنا -تلميذ الرب- الذي كان أيضاً متكثراً على صدره [يوحنا ١٣ / ٢٣] بنشر إنجيله بنفسه أثناء إقامته في أفسس في آسيا الصغرى».^(٢)

وهذه الأناجيل الأربعة التي ذكرها إيرينيئوس هي الأناجيل عينها التي نعرفها اليوم، للاتفاق حول مُسمّى مؤلفيها، والاتفاق حول وصفها من المصادر الأخرى بما يطابق ما ذكره إيرينيئوس هنا؛ ولذلك تواتر كلام النقاد على أنّ كلام إيرينيئوس متعلّق بالأناجيل الأربعة المعروفة اليوم.^(٣) وهو ما عبّر عنه كينيث لاينغ Kenneth Laing بقوله: «هناك اتفاق عام أنّ كتابات إيرينيئوس قد أثبتت أنّه مع نهاية القرن الثاني اعتبرت الكنيسة جُلّ العهد الجديد الحالي من الأسفار المقدّسة».^(٤)

(١) Adversus Haereses, 3.11,8.

(٢) Adversus Haereses, 3.1.1.

(٣) See Michael J. Kruger, ed. A Biblical-Theological Introduction to the New Testament: The Gospel Realized, Wheaton, Illinois: Crossway, 2016, p.563, Lee Martin McDonald, The Formation of the Biblical Canon: Volume 2, The New Testament: Its Authority and Canonicity, Bloomsbury Publishing, 2017, p.286; W. Edward Glenny, Darian Lockett, Canon Formation Tracing the Role of Sub-Collections in the Biblical Canon, London: Bloomsbury Publishing, 2023, p.12;

كارين أرمسترونج، تاريخ الكتاب المقدس، تعريب محمد صفار، مصر الجديدة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ٥٢.

(٤) Kenneth Laing, Irenaeus, the Scriptures, and the Apostolic Writings. Reevaluating the Status of the New Testament Writings at the End of the Second Century, Bloomsbury Publishing, 2022, p.1.

كما أنّ كلام إيرينيئوس صريح في الاقتصار على الأناجيل الأربعة دون غيرها؛ فهو لا يقتصر على القول إنّ هذه الأناجيل الأربعة قانونية، وإنّما يتجاوز ذلك إلى حصرها في أربعة فقط. ولذلك يعلّق الناقد الفرنسي ألفرد لوازي Alfred Loisy على ما سبق نقله عن إيرينيئوس، بقوله: «منذ نهاية العصر الرسولي، كانت هناك أربعة أناجيل مرخّصة من الكنيسة، لا أكثر ولا أقلّ. هذا ما اعتقده إيرينيئوس بيقين».^(١)

ترتليان (١٤٥ - ٢٢٠م):

كان ترتليان من أهم الآباء الذين اقتبسوا بصورة موسّعة من الأسفار المقدسة في كتاباته التي تنوّعت مواضيعها، ما بين تأصيل عقدي وبحث أخلاقي وكتابة جدلية دفاعيّة. وقد اقتبس بتوسّع من الأناجيل الأربعة. كما كان يشير صراحة إلى أسماء هذه الأناجيل، بما يدفع الوهم أنّها نصوص مشتركة بين أناجيل قديمة قانونية وغير قانونية.

وممّا قاله ترتليان في كتابه «ضد مرقيون»: «لذلك من الرسل، غرس يوحنا ومثي الإيمان أولاً فينا، وقام لوقا ومرقس - وهما من الرسل - بتجديده بعد ذلك».^(٢) وبعيداً عن صحّة نسبة هذه الأناجيل إلى هذه الأسماء، يبقى أنّ هذه الشهادة من ترتليان تشهد لقانونية هذه الأناجيل في عصره.

وقال ترتليان أيضاً في الكتاب السابق نفسه: «سلطة الكنائس الرسولية نفسها ستقدم أدلة للأناجيل الأخرى أيضاً... أعني إنجيلي يوحنا ومثي... وما نشره مرقس.... [و] لوقا».^(٣)

هيبوليتوس الروماني (١٧٠ - ٢٣٥م):

كان هيبوليتوس الروماني، أحد أشهر لاهوتيي القرن الثالث. وقد قيل إنّّه كان تلميذاً لإيرينيئوس. ألّف هيبوليتوس شرحاً لسفر دانيال. وفي هذا الشرح قارن بين المسيح عليه السلام ونهر جنة عدن الذي انقسم إلى أربعة أنهر عن أصله. وممّا قال في أثناء ذلك: «المسيح، هو نفسه النهر، يُكرّز به في العالم كلّ من خلال الإنجيل الرباعي».^(٤)

Alfred Loisy, Histoire du Canon du Nouveau Testament, Paris: J. Maisonneuve, (١) 1891, p.105.

Against Marcion, 4.2. (٢)

Against Marcion, 4.5. (٣)

Commentary on Daniel. 1.17. (٤)

أوريغانوس (١٨٥-٢٥٤م):

يُعتبر أوريغانوس أبرز آباء القرن الثالث، وأغزرهم تأليفاً، وتأثيراً. وقد تنوّعت مؤلفاته بين تفسير للكتاب المقدس، وبحث لاهوتي، وكتابات دفاعية. وكان غزير الاقتباس من الأناجيل الأربعة. وقد قال في عدد الأناجيل المقبولة، في تفسيره لإنجيل يوحنا الذي ألفه حوالي سنة ٢٢٦م: «الأناجيل أربعة. وهذه الأربعة هي عناصر إيمان الكنيسة».^(١)

وكان أوريغانوس على وعي بكثرة الأناجيل المتاحة بين النصارى في زمانه. وأعلن رفضه لغير هذه الأناجيل الأربعة صراحة، فقال في شرحه لإنجيل لوقا الذي ألفه في حدود سنة ٢٤٠م: «الكنيسة لها أربعة أناجيل. الهراطقة عندهم الكثير ... «حاول كثيرون» أن يكتبوا [إشارة إلى عبارة لوقا في لوقا ١,١] ولكن تمت الموافقة على أربعة أناجيل فقط. يجب أن تكون عقائدنا ... مستمدة من هذه الأناجيل المعتمدة. أعرف إنجيلاً يُدعى إنجيل توما، وآخر يُدعى إنجيل ماتياس».^(٢)

وقال لاحقاً في شرحه لإنجيل متى: «كما فهمت من التقاليد احترام الأناجيل الأربعة، والتي هي الأناجيل الوحيدة التي لا نزاع حولها في كنيسة الله كلها تحت السماء. الإنجيل الأول حسب متى ... الذي نشره للمتحوّلين من اليهود، وكتبه بالعبرية. والثاني بحسب مرقس، الذي ألفه كما شرحه بطرس له... والثالث بحسب لوقا... وآخر إنجيل بحسب يوحنا».^(٣)

يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م):

يوسابيوس القيصري، أبرز مؤرخي الكنيسة، وأحد أعلام النصارى في عصره. وقد كان عظيم الاطلاع على فرق النصارى ومناقشاتهم في عصره، كما كان صاحب معرفة كبيرة بمؤلفات آباء الكنيسة. وقد نقل عن أسفار العهد الجديد بتوسّع في كتبه. ومؤلفاته مهمة في معرفة حال النصارى قبل مجمع، وبعده حتى وفاته. وقد انتهى يوسابيوس من تأليف كتابه «تاريخ الكنيسة» -وهو أشهر مؤلفاته- سنة ٣٢٤م، قبل انعقاد مجمع نيقية.

(١) Comm. John, 1.6

(٢) Cited in: Charles E. Hill, Who Chose the Gospels?, p.45.

(٣) Eusebius, Eccl. His., 6.25.4.

ومن شهادات يوسابيوس في هذا الكتاب على أنّ أناجيل الكنيسة أربعة، قوله: «يبدو من اللائق في هذا الموضوع أن نُلخص كتابات العهد الجديد التي تمّ ذكرها. في المقام الأول يجب وضع الأناجيل الأربعة المقدسة $\tau\eta\nu\ \alpha\gamma\iota\alpha\nu\ \tau\omega\nu\ \epsilon\upsilon\alpha\gamma\gamma\epsilon\lambda\iota\omega\nu\ \tau\epsilon\tau\rho\alpha\kappa\tau\upsilon\nu$ ويليهما سفر أعمال الرسل...»^(١)

وقد صرّح يوسابيوس بأسماء هذه الأناجيل في قوله عن إنجيل يوحنا: «وبعدما نشر مرقس ولوقا إنجيلهما، يقولون إنّ يوحنا الذي صرف كل وقته في نشر الإنجيل شفويًا، بدأ أخيرًا يكتب للسبب التالي: الأناجيل الثلاثة التي سلف ذكرها بلغت الجميع، ووصلت يديه أيضًا. ويقولون إنّ قبلها وشهد لصدقها»^(٢). ومن الجلي أنّ يوسابيوس يقصد بهذه الأسماء الأناجيل التي نعرفها اليوم، وهو ما يظهر عمليًا في اقتباساته منها بالحرف في مؤلفاته المحفوظة، كما هو مبرهن عليه في الدراسات التي تناولت هذه الاقتباسات، بالسبر والنقد.^(٤)

الخاتمة والنتائج:

انتهى بنا البحث في تاريخ تقنين الأناجيل الأربعة، وعلاقة هذا التقنين بمجمع نيقية، إلى مجموعة من النتائج، أهمها أنّ الراجح الذي تؤيّده الشواهد التاريخية المتاحة هو أنّ دعوى اختيار الأناجيل القانونية الأربعة في مجمع نيقية بضغط من قسطنطين، لم تُعرف في الكتابات الإسلامية قبل القرن الرابع عشر الهجري، وأنّ هذه الدعوى قد دخلت المكتبة

(١) Eusebius, Eccl. His., 3.25.

(٢) إنجيل يوحنا متأخر عن بقية الأناجيل، ومخالف لها من جهة ترتيب أحداث سيرة المسيح عليه السلام، وتفصيلها. يُنظر :

Bart D. Ehrman, A Brief Introduction to the New Testament, New York: Oxford University Press , 2004, p.143

(٣) Eusebius, Eccl. His., 3.24

(٤) See M. Jack Suggs, 'Eusebius' Text of John in the "Writings against Marcellus", in Journal of Biblical Literature, Vol. 75, No. 2 (Jun., 1956), p.142, M. Jack Suggs, 'The Eusebian Text of Mathew,' in Novum Testamentum, Vol. 1, Fasc. 4 (Oct., 1956), 244-245.

العربية من خلال الكتابات الإلحادية للقرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. كما دلّ حفر التاريخي أنّ هذه الدعوى -في مجملها- تعود إلى نقلٍ مُرسَلٍ عن فولتير.

وبالنظر في الوثائق التاريخية الأقدم، انتهى هذا البحث إلى أنّ الراجح أنّ كلّ الشهادات التاريخية التي فصلت خبر مجمع نيقية لم تذكر مناقشة اختيار أناجيل قانونية، وأنّ الشهادات التاريخية لآباء الكنيسة وخصوم مجمع نيقية تشهد لاختيار «الكنيسة الأرثوذكسية» لهذه الأنجيل الأربعة بداية من نهاية القرن الثاني. ولذلك استقبلت المكتبة العلميّة الغربية بالردّ الصارم ما حاولت بعض الكتابات الشعبية إثباته في شأن علاقة مجمع نيقية بالأنجيل الأربعة القانونية.

قائمة المصادر والمراجع

العربية:

أثناسيوس الرسولي، دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية، تعريب: أثناسيوس فهمي جورج، دبلن: كنيسة السيدة العذراء، ١٩٩٨.

ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

الخرجي، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، تونس: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٧٥.

رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

سفر الحوالي، العلمانية، نشأتها وتطورها، دار الهجرة، د.ت.

القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة: دار التراث العربي، د.ت.

كارين أرمسترونج، تاريخ الكتاب المقدس، تعريب محمد صفار، مصر الجديدة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ١٤٤٢هـ/٢٠٠٣م.
- مانع الجهني (إشراف)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
- المراغي، تفسير المراغي، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
- يوسف زيدان، عزازيل، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨.

الأعجمية:

- Alexander Roberts and James Donaldson, eds. *Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325*, Edinburgh: T. and T. Clark, 1868.
- Alexander Roberts and James Donaldson, *The Ante-Nicene Fathers*, Christian Literature Publishing Company, 1887.
- Alfred Loisy, *Histoire du Canon du Nouveau Testament*, Paris: J. Maisonneuve, 1891
- Allan Menzies, ed. *The Ante-Nicene Fathers Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325*, New York: Christian Literature Company, 1896.
- Bart D. Ehrman, *A Brief Introduction to the New Testament*, New York: Oxford University Press, 2004
- Bart Ehrman, *The Orthodox Corruption of Scripture: The Effect of Early Christological Controversies on the Text of the New Testament*, Oxford: Oxford University Press, 1996.
- Bart Ehrman, *Truth and Fiction in The Da Vinci Code: A Historian Reveals What We Really Know about Jesus, Mary Magdalene, and Constantine*, Oxford: Oxford University Press, Oxford, 2004.

Bart Ehrman, *Whose Word is It? The Story Behind who Changed the New Testament and why*, New York: Continuum, 2008.

Ben Witherington, *The Gospel Code Novel Claims About Jesus, Mary Magdalene and Da Vinci*, InterVarsity Press, 2004.

Bruce Metzger, *et. al.*, *New Oxford Annotated Bible*, New York: Oxford University Press, 1997.

Charles E. Hill, *Who Chose the Gospels?: probing the great Gospel conspiracy*, Oxford University Press, Oxford, 2010.

Dan Brown, *The Da Vinci Code*, New York: Doubleday, 2003.

David Edward Aune, *Jesus, Gospel Tradition and Paul in the Context of Jewish and Greco-Roman Antiquity*, Tubingen: Mohr Siebeck, 2013

Elaine Pagels, *The Gnostic Gospels*, New York: Random House, 2004.

Heinrich Schumacher, *A Handbook of Scripture Study*, St. Louis: B. Herder Book Co., 1922.

Henri Leclercq, "The First Council of Nicaea." The Catholic Encyclopedia. Vol. 11. New York: Robert Appleton Company, 1911. 7 Jan. 2023 <<http://www.newadvent.org/cathen/11044a.htm>>.

Henry Wace and Philip Schaff, eds. *A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church*, Oxford: Christian literature Company, 1890.

John Jay Brogan, *The Text of the Gospels in the Writings of Athanasius*, Ph.D. dissertation, Duke University, 1997

Karl Joseph von Hefele, *Histoire des conciles d'après les documents originaux: Introduction. Conciles antérieurs à celui de Nicée jusqu'au concile de Sardique*, A. Le Clère, 1869.

- Kenneth Laing, *Irenaeus, the Scriptures, and the Apostolic Writings. Reevaluating the Status of the New Testament Writings at the End of the Second Century*, Bloomsbury Publishing, 2022.
- Lee Martin McDonald , *The Formation of the Biblical Canon: Volume 2, The New Testament: Its Authority and Canonicity* , Bloomsbury Publishing, 2017.
- M. Jack Suggs, 'The Eusebian Text of Mathew,' in *Novum Testamentum*, Vol. 1, Fasc. 4 (Oct., 1956).
- M. Jack Suggs, 'Eusebius' Text of John in the "Writings against Marcellus', in *Journal of Biblical Literature*, Vol. 75, No. 2 (Jun., 1956)
- Michael Coogan, *The Bible, What Everyone Needs to Know*, Oxford: Oxford University Press, 2020
- Michael J. Kruger, ed. *A Biblical-Theological Introduction to the New Testament: The Gospel Realized*, Wheaton, Illinois: Crossway, 2016.
- Paul Foster, *Early Christian Thinkers The Lives and Legacies of Twelve Key Figures*, Downers Grove, Ill: IVP Academic, 2011.
- Philip Schaff and Henry Wallace, eds. *Nicene and Post-Nicene Fathers: Second Series. Eusebius: Church History*, Life of Constantine the Great, Oration in Praise of Constantine, New York: Cosimo Classics, 2007.
- Philip Schaff, David Schley Schaff, *History of the Christian Church*, New York: C. Scribner's sons, 1882.
- Raymond Brown, *An Introduction to New Testament Christology*, New York: Paulist Press, 1994.

- Robert M. Price, *The Da Vinci Fraud: Why the Truth Is Stranger Than Fiction*, Amherst: Prometheus Books, 2005.
- Samuel Hemphill, *The Diatessaron of Tatian: a harmony of the four holy Gospels compiled in the third quarter of the second century*, London: Hodder & Stoughton, 1888.
- Socrates Scholasticus, 'Ecclesiastical History', in *Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series Volume II Socrates, Sozomenus*, New York: Cosimo Classics, 2007
- Sozomen, *Ecclesiastical History*, London: Samuel Bagster and Sons, 1846.
- Theodoret of Cyprus, *Ecclesiastical History of Theodoret*, NY: Dalcassian Publishing Company, 2019
- Thomas Noonan, "Review: The Synodicon Vetus: Text, Translation, and Notes by John Duffy; John Parker". *The Catholic Historical Review*. Vol. 68, No. 1, Jan., 1982.
- Voltaire, *Dictionnaire Philosophique*, Paris: Bacquenois, 1838.
- W. Edward Glenny, Darian Lockett , *Canon Formation Tracing the Role of Sub-Collections in the Biblical Canon*, London: Bloomsbury Publishing, 2023
- William L. Petersen, *Tatian's Diatessaron: Its Creation, Dissemination, Significance, and History in Scholarship*, Leiden: BRILL, 1994
- Wm. Emmette Coleman, 'Council of Nicoea (Nicoea) and the biblical canon', in *Notes and Queries; a Monthly Magazine of History, Folk-lore, Mathematics, Mysticism, Art, Science, Etc*, Volume 5-6, Manchester, 1888.

رومنة المصادر

- Athanāsiyūs al-Rasūlī, Difā‘ ‘an Qānūn Īmān Majma‘ nyqyh, ta‘rīb :
Athanāsiyūs Fahmī Jūrj, dbln : Kanīsat al-Sayyidah al-‘Adhrā’, 1998.
- Ibn Taymīyah, al-jawāb al-ṣaḥīḥ li-man baddl dīn al-Masīḥ, taḥqīq : ‘Alī
ibn Ḥasan wa-‘Abd al-‘Azīz ibn Ibrāhīm wḥmdān ibn Muḥammad,,
al-Riyāḍ : Dār al-‘Āṣimah, 1419 H / 1999 M.
- Ibn Taymīyah, al-jawāb al-ṣaḥīḥ li-man Badal dīn al-Masīḥ, taḥqīq :
‘Alī ibn Ḥasan wa-‘Abd al-‘Azīz ibn Ibrāhīm wḥmdān ibn
Muḥammad,, al-Riyāḍ : Dār al-‘Āṣimah, 1419 H / 1999 M.
- Ibn Ḥazm, al-faṣl fī al-milal wāl’hwā’ wa-al-niḥal, al-Qāhirah :
Maktabat al-Khānjī, dūna Tārīkh.
- ‘Abd al-Raḥmān Ḥabannakah al-Maydānī, kwāshf zywf, Dimashq :
Dār al-Qalam, 1412 H / 1991 M.
- al-Khazrajī, Maqāmi‘ al-ṣulbān, taḥqīq : ‘Abd al-Majīd al-Sharafī,
Tūnis : Markaz al-Dirāsāt wa-al-Abḥāth al-iqtisādīyah wa-al-
Ijtimā‘īyah, 1975.
- Rashīd Riḍā, tafsīr al-Manār, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-
Kitāb, 1990 M
- Sifr al-Ḥawālī, al-‘Almānīyah, nash’atuhā wa-taṭawwuruhā, Dār al-
Hijrah, dūna Tārīkh.
- al-Qurṭubī, al-I‘lām bi-mā fī dīn al-Naṣārā min al-fasād wa-al-awḥām,
taḥqīq : Aḥmad Ḥijāzī al-Saqqā, al-Qāhirah : Dār al-Turāth al-
‘Arabī, dūna Tārīkh.
- Kārīn Armistrūnj, Tārīkh al-Kitāb al-Muqaddas, ta‘rīb Muḥammad

Şaffār, Mişr al-Jadīdah : Maktabat al-Shurūq al-Dawlīyah, 1431 H / 2010 M.

Ibn Kathīr, al-Bidāyah wa-al-nihāyah, taḥqīq : ‘Abd Allāh al-Turkī, Dār Hajar, 142 H / 2003 M.

Mānī‘ al-Juhanī (ishrāf), al-Mawsū‘ah al-muyassarah fī al-adyān wa-al-madhāhib wa-al-aḥzāb al-mu‘āşirah, Dār al-nadwah al-‘Ālamīyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1420 H.

al-Marāghī, tafsīr al-Marāghī, al-Qāhirah : Muşţafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1365 H / 1946 M.

Yūsuf Zaydān, ‘Azāzīl, al-Qāhirah : Dār al-Shurūq, 2008.

JOURNAL OF SHARIA AND ISLAMIC STUDIES

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

The Council of Nicaea and the canonization of the four gospels

Dr. Sami Bechir Ameri

Comparative religion. Islamic Department. Graduate

Theological Foundation University, USA

Academic
Publication Council



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

Volume 38 - Issue No. 134

Rabi I 1445 A.H. - September 2023